# المرأة و العنف

الأستاذة : **حران رحيمة**

جامعة تلمسان

إن تاريخ العنف والتعصب تاريخ بعيد الجذور في تربة المجتمع العربي، فكان هناك دائما من يصر على احتكار الحق الأوحد في الحياة و البقاء ، و ربما كان ما مر في التاريخ البشري من آثار هذه الأزمنـــــة هو بمثابـــــة الإرهاصات الأوليـــــة للمجازر التي يشهدها عالمنـــــا المعاصر ( 1)

فثقافـــــة العنف ممتدة منذ الأزل، تجعل الرجل سيـــدا مطاعـــــا في المرتبـــــة العليـــا، و المرأة كائنـــــا مطيعـــــا في المرتبـــــة الدنيـــــا ، فالعنف ما هو إلا إفراز إجتماعي لعلاقـــــة غير متكافئـــــة لثقافـــــة متحاملـــــة على المرأة و منحازة للرجل (2)

فالثقافـــــة الصحيحـــة ينبغي أن تشمل البنيان ( كما يرى الدكتور حسن شحاته )الكامل للأفكار و المعتقدات و معايير الأخلاق و القوانييـــــن و اللغـــــة وجميـــــع الأدوات و الآلات و الخطط التي تستخدم لشق الطريق في الحياة (3).

إن العنف هو في الواقع جزء من تاريخ الإنسانيـــــة جمعاء ، و جزء من حاضرها أيضا بل هو أساس التاريخ المعاصر ومصدر نشأتـــــه (4)

فالعنـــــف في نظر الإنتروبولوجييـــــن :

ينظر إليه بوصفـــــه خاصية من خصائص النوع الإنساني ، و بوصفـــــه سلوكا عدوانيـــــا متأصلا في طبيعة الإنسان البيولوجية (5)

أما في نظر البسيكولوجييـــــــن:

فهو النتيجـــــة الحتميـــــة لعدم التنشئـــــة الإجتماعيـــــة أو لخلل فيهـــا فالعنف ينتج عن الفوضى الإجتماعيـــــــة

و يرى الدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري أن للعنف مظاهر و أنواع ، منهـــــا : العنف النفسي و هو الأشد ، و يتمثل في نظرة الرجل للمرأة نظرة دونيـــة و في أنواع من الضغط و الإكراه ، يمارس ضد المرأة لإجبارها على زوج لا تريده ، أو حتى حرمانها من منصب تستحقه ، أو في حرمانهـــا من المساواة في فرص التعليم و التدريب أو في تحميلها أداء عدة أدوار أو أعمال في البيت أو المجتمع دون توفير الوسائل الكفيلة أو المعينة بها .
ثم العنف اللفظـــي ممثلا في الشتم و الإهانـــــة و التهديد ، ثم العنف المادي ممثلا في الدفـــع و الضرب و الجرح و القتل .

فالعنف الممارس ضد المرأة أصبح ظاهرة و مشكلـــة عالميـــة ، تمس جميع المجتمعات ، باختلاف أجناسهـــم و عقائدهـــم ، حتى أصبح وباءا عالميـــا ، قاتلا ومشوها جسديا ، نفسيـــا جنسيـــا ،" و اقتصاديا ، فإن الإحصاءيات العالمية والوطنيـــة تبين لنا أن العنف ضد النساء في تصاعد مستمر ، ومصادر العنف في المجتمع كثيـــرة : الأب ، الزوج ، الأخ ، الجار بل حتى المرأة ضد بنات جنسهـــا ، والحقيقـــة أن المرأة مستهدفة للعنف مند ولادتهـــا ، فقتل النساء في سن الرضاعـــة ، لا زال موجودا ، في العديد من البلدان المتخلفـــة ، على أنها مصدر الانحراف و العار الذي قد يلحق بالأسرة ، و كذا إجهاض النساء اللواتي يحملن إناثـــا بعد أن ساعد العلم الحديث على إكتشاف ذلك .

و في تقرير أن : 55 % من النساء في إحدى البلاد العربيـــة يتعرضن للضرب من أزواجهن ، و في تقرير للأمم المتحدة أن 22 % من الفتيات لا توجـــد لديهـــن فرصـــة للتعليم، و تحدث 175 ألف حالة حمل سنويا ، لا ترغب النساء الحوامل فـــي حدوث نصفهـــا ، و تموت أكثر من إمرأة كل دقيقـــة بسبب مشكلات الحمل والولادة ، 99 % منها في الدول الناميـــة ، و هناك القتل بحجـــة حماية الشرف لا

يزال يمثل ظاهرة خطيرة ، و هناك مليون فتاة ، يواجهن سنويا تهديدا بالختان في 10 دول إفريقية (6).

العنف هو أفق الحياة الاجتماعية التي يغلفها من كل ناحية ، إنه يشكل الحدود الدنيا و العتبة التي لا يعود الأفراد ليشكلوا دونها جماعة حقيقية كما يظهر العنف عندما يكون ثمة فقدان للرقابة أو فقدان للوعي لدى أفراد معينين أو جماعات ناقصة المجتمعية (7).

و العنف أيضا ذلك السلوك المقترن باستخدام القوة ، و هو حامل لفيروس ( virus) القسوة و الإيذاء و مانع لفيريوس المحبة و الإخلاص ، و يشمل العنف جوانب عديدة منها :

* **العنف الاجتماعي** : يصاحب جميع الهزات و التغيرات الإجتماعية العميقة و السريعة و هذا راجع لعدم مواكبة مؤسسات التنشئة الإجتماعية و تجانسها مع المؤسسات الإقتصادية و السياسية .

***العنف السياسي** : يتمثل هذا العنف في الصراعات الداخلية حول السلطة ، مثل العنف الحكومي والعنف الإعلامي ..

* **العنف المطلق** : يتجلى في الإبادات الجماعية داخل المداشر ( حتى المدارس ) و القرى النائية .حيث يرى سليمان مظهر أن الأسرة الجزائرية على سبيل المثال يحركها عنف خفي فالفرد تتحمل الأسرة أعبائه (8).

لقد لعب الإسلام دورا عظيما في رفع لواء الظلم و الإستبداد الذي عاشته المرأة مند نعومة أظافرها ، حيث حرم الإسلام وأد الفتيات و إنتقل بهن من عالم

الجهالـــــة الى عالم ملؤه العزة و الكرامـــــــة كما بين الإسلام أنه من كانت تعتبر مجلبـــة للعار قد تصبح هي السبيل للفوز بالجنـــة .

***أسبـــــــاب وراء ظاهرة العنف ضد المـــــــرأة :***

يرى الدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري أن من الأسباب المؤدية لظاهرة العنف هي (9):

أولا : الطبيعـــة الغير السويـــــة عند بعض الرجال : بسبب العقد النفسيـــــة الكامنـــــة منذ الصغر أو القهر و الضغوط النفسيـــــة في العمل ، فيجد في الزوجة متنفســـا ، أو لأنه من أسرة تعوّد الأب فيها ضرب زوجتـــه

ثانيـــــــا :

أ) فهم مغلوط للقوامـــــة : إذ هي عند بعض الرجـــال : التسلط و التسيد مع أن المفهوم الشرعي للقوامـــــة هو : أن القوامـــة من القيام على الشيئ بما يصلحـــه ، برعايتـــه و حمايتـــه و تأمينه ، و تحمل مسؤوليـــة الإنفاق والتوجيـــه ...و الدفاع

ب) فهم مغلوط للرجولـــة: إذ تعني عند البعض أن يكون الرجل الشديدا حازمـــا لأن المرأة عندهم تحترم الرجل الذي يضربهـــا لا الزوج المتسامح.

ثالثـــــا: فهـــم مغلوط للتوجيه و الإرشاد : فمن حق الرجل أن يضرب زوجتـــه لأن القرآن أعطاه هذا الحق فهو يضرب زوجتـــه و يفتري على الله ... و الإسلام إنما دعا الى المعاشرة بين الزوجيـــن بالمعروف مع الحفاظ على الكرامـــــة ، و لو كان الضرب خيرا لفعلـــه الرسول (ص ) و هو المربي الأعظم الذي لم يضرب قط امرأة ، كما يجب على المسلميـــن فهم الآية القرآنيـــــة التي أذنت بالضرب و لكن

لمن ؟ لتلك الزوجة الناشز و هي المتكبرة ، المترفعة المستعلية على الزوج أو المرأة التي تأذن لغريب بدخول بيت الزوج في غيابه لما في ذلك من شبهات تزلزل العلاقة الزوجية

رابعا : فهم مغلوط لحق الطاعة ، فالطاعة عند الرجال هي تحمل المهانة و عدم الشكوى ، و عدم مشاورة الزوج لزوجته

خامسا: السلوك السائد للتربية في المجتمعات العربية ، حيث تربى المرأة ضعيفة الشخصية أما الرجل فيربى ليكون فرعونا سيدا مطاعا له كل الإمتيازات و الحقوق فهو المفضل عند أمه حيث تكون كل خطاياه مغفورة .

سادسا: النظام الثقافي و النظام التشريعي في المجتمعات العربية ، قديما و حديثا يكرس وضعية هامشية للمرأة و يؤكد تبعيتها للرجل ، بذريعة المحافظة على الأسرة و الأولاد .

و هناك سبب مهم و هو أداء بعض المسلمين شعائر الدين و عبادته من صلاة و صيام و حج ..... شكليا مظهريا " فلا يربى ضميرا و لا يهذب سلوكا و لا يحسن معاملة " .

**لماذا الإهتمام بمنع العنف الموجه ضد المرأة ؟**

لأن المرأة هي الأم و هي الزوجة و هي الأخت ، و إذا لم يحرص الزوج على إحترامها ، و منع أي مصدر للعنف ضدها ، فإنها تفقد إستقرارها النفسي ، و بالتالي لا تستطيع أن تربي أولادها التربية المرجوة لبناء مجتمع ناهض قوي لأن " الخائف المهزوز نفسيا لن يبني مجتمعا قويا " كما تد الأمثال التالية:

إن كل ما وصلت إليـــــه يعود الفضل فيه إلى أمـــــي " ( إبراهام لنكولن )

" لولا أمي لما صرت مخترعا ، بل لبقيت ولد مهملا عديـــم الإكتـــــرات " أبيســـون ( مذكر إنجليزي ).

" إنني مدين لأمي بكل ما حزتـــه من الفخار، و ما فزت به من العظمـــة لأن نجاحي كان ثمرة مبادئهـــا القويمة و آدابهـــا الساميـــــة " ( نابليون الأول ).

" الأم مدرســـة إذا إعددتهـــا أعددت شعبا طيب الأعراق " ( حافظ إبراهيـــم )

إن النساء هن اللواتي يصنعن الرجال ،و هات لي عظيما أدلك على ســـر عظمتـــه : أمـــه أو زوجتـــه " ( د حسين مؤنـــس )

و من أجل التصدي و التخلص من رواسب هذا الإرث السلبي و ما تفرضه العولمـــة عن طريق التقمص التدريجي لتصل في النهايـــــة الى تثبيت نمط حياتي وحيد يهدد هويـــة الشعوب المستضعفـــة و يزعزع نسق قيمهـــا و يتوعدهـــ بالزوال لا بد إذن من تنقيـــة التراث من الشوائب الضارة الضالمـــة للمرأة و إعادة النظر في التشريعـــات التي تخالف النصوص الدينيـــة الثابتـــة .

فالمعادلـــة التي من الصعب تحقيقهـــا هو كيف يمكن للهوية العربيـــة الإسلاميـــة التفاعل مع العولمـــة(10) والاستفادة من جوانبهـــا التكونولوجية مع التمسك بخوصوصياتهـــا الدينيـــة و الثقافيـــة للخروج من تبعات هذا الإرث و هو العنف .

## الإحالات

(1) د .محمد الربيعي العربي العدد 442 /1995 ص 18

(2) د . عبد الحميد الأنصاري ( عميد كلية الشريعة و القانون بجامعة قطر ) في قضايا " العنف ضد المرأة " مجلـــة العربي العدد 548 يوليو 2004 ص 26

(3) د.حسين شحاتة ، علم الإنسان ( الأنتروبولوجيا ) مكتبـــــة العرفان بيروث ص 107

(4) بوهـــــان غليون " بيان من أجل الديموقراطية " دار بوشان للنشر 1990 ص 41

(5) مارسيل غوشيه و بيار كلاستر " أصل العنف و الدولـــــة " تعريب و تقديم علي حرب دار الحداثة ص 23

(6) نفس المرجع سابقا مجلـــــة العربي ص 27

(7) العنف في المدرســـــة و علاقته بالمردود التربوي ، إعداد الطالب " بن حليمـــة الصحراوي " (2002/2001 ) ص 4

(8) Slimane medhar « la violence solciale en algerie « ED THALA EDITIONS 1997 P46

(9) نفس المرجع سابقـــــا " قراءة تحليليـــة في مقال الدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري ( العنف ضد المرأة ) مجلـــــة العربي

(10) الهويـــــة و العولمـــــة ( محمد مسلم ) دار الغرب للنشر و التوزيع ص 2